توجيه التعارض الظاهري
بين حديث: (اللهم أني أسألك غناي)
مع حديثي (اللهم أحيني مسكينًا)
و(الفقر زين على المؤمن)

إعداد

د. رائدة محمد الشريف

أستاذ مساعد بجامعة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله بما هو أهله وكما ينبغي له، لا تعد مننه ولا تحصى نعمه، ولا تقدر عظمته، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الأخيار والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.... وبعد..

لم تزل الشريعة الإسلامية مصونة من كل من يحاول المساس بها والعبث في أصولها، تلميحًا أو تصريحًا، لتعهد الله بذلك، فكان أن قيض الله العلماء في كل عصر ليحملوا لواء الدفاع عنها، ورد زيف المبطلين، وانتحال الغالين، وشبهات الملحدين كما قال ﷺ: **"يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين".**

ولم يزل علماء الإسلام يدفعون عن الشريعة كل شبهة، ويدحضون صيحات المغرضين والغوغاء من منتسبين للإسلام جهلًا منهم بحقيقة وسلامة مصادره، أو عامدين ممن اندسوا في الأمة حقدًا وحسدًا لزوال ممالكهم ودولهم، وفي سبيل ذلك شمر العلماء الأوائل سواعدهم للدفاع عن الشريعة عامة وسنة رسول الله ﷺ خاصة، يردون كل شبهة ويدحضون كل فرية عملت في الأمة، وفرقت وحدتها وأشعلت أوار الحرب بينها، فكان أن ظهر علم مختلف الحديث في القرن الثاني الهجري، فكتب الإمام الشافعي رحمه الله كتابه **"اختلاف الحديث"** ذكر فيه طرفًا من الأخبار المتناقضة وجملًا من الآثار المتعارضة – ظاهرًا – ليدلل بما ورد من اعتراض، وبما يذكر من جواب على سبيل التوفيق، فيجعل ذلك منهجًا ومسلكًا لكل من ألف في حديثين أو أكثر تعارضًا أو تضادًا.

وكتب الإمام **ابن قتيبة الدينوري** رحمه الله **"تأويل مختلف الحديث"**

وأبان مقصوده فيه فقال: "نحن لم نرد في هذا الكتاب أن نرد على الزنادقة ولا المكذبين بآيات الله ﷻ ورسله، وإنما كان غرضنا الرد على من ادعى على الحديث التناقض، والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين على المسلمين.

وإن النظر في طرق العلماء ومناهجهم في دفع إيهام الاضطراب عن أحاديث المصطفى ﷺ يُنمي لدى طالب العلم ملكة في التعامل مع النصوص الشرعية، وكذلك يربيه على تقديس وتعظيم وإجلال الوحي كتاب وسنة، فلا يرد منها شيئًا، بل يجتهد في طلب التوفيق والجمع بينهما، وذلك لعلمه أن نصوص الوحي لا تتعارض بحال من الأحوال.

قال **ابن القيم** رحمه الله تعالى: (فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض، فالاختلافات والإشكال والاشتباه إنما هو في الإفهام،لا فيما خرج من بين شفتيه من الكلام، والواجب على كل مؤمن أن يكل ما أشكل عليه إلى أصدق قائل، ويعلم أن **(فوق كل ذي علم عليم)**([1]).

وسأتناول في هذا البحث الموجز أحاديث رويت عن النبي أشكل على البعض فهمها وظن أنها متناقضة بالدراسة والتحليل ودرء شبهة التناقض بين ظاهر هذه الأحاديث، سائلة الله ﷻ التوفيق والسداد.

([1]) مفتاح السعادة (٣/٣٨٣).

تمهيد

تعريف مختلف الحديث:

الاختلاف في اللغة: مصدرُ الفعل اختلف، والمختلف بكسر اللام: اسم فاعل، والمختلف بفتح اللام: اسم مفعول، من اختلف الأمران إذا لم يتفقا، وكل ما لم يتساوى فقد تخالف واختلف، ومنه قول الله **(والنخل والزرع مختلفًا أكله)**[1]، والخلاف مصدر خالف مخالفة وخلافًا، والخلاف هو شجر الصفصاف، وقد سمى خلافًا لأنه نبت مخالفًا لأصله، ويقال: تخالف القوم واختلفوا: إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الأخر، وهو ضد الاتفاق[2].

وفي الاصطلاح:

قال **الإمام الشافعي** رحمه الله: ولا ينسب الحديثان إلى الاختلاف ما كان له وجهان يمضيان معًا إنما المختلف ما لم يمضي إلا بسقوط غيره مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد هذا يحله وهذا يحرمه[3].

وعرفه **الإمام النووي**: هو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرًا فيوفق بينهما أو يرجح أحدهما.

والمختلف قسمان: -

الأول: ما يمكن الجمع بينهما، فيتعين المصيرُ إليه، ويجبُ العملُ بهما.

الثاني: ما لا يمكن فيه ذلك، وهو **ضربان**:

---

(1) سورة الأنعام: الآية ١٤١.

(2) انظر: القاموس المحيط (٣/١٤٣)، المصباح المنير (ص١٧٩)، لسان العرب (٩/٩١).

(3) الرسالة للشافعي (ص٣٤٢).

الأول: ما عُلِمَ أن أحدهما ناسخ والآخر منسوخٌ(١).

والثاني: ما لا يعلم فيه ذلك، فلابد من الترجيح، ثم التوقف.

قال **الإمام ابن القيم**: "وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الأحاديث معارضة بأحاديث أخرى تبطلها وتنقضها، ونحن نقول بحمد الله لا تعارض بين أحاديثه الصحيحة، فإذا وقع التعارض فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه، وقد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتًا، فالثقة يغلط، ويكون أحد الحديثين ناسخًا للآخر إذا كان يقبل النسخ، أو يكون التعارض في فهم السامع لا في نفس كلامه ﷺ، فلابد من وجه من هذه الوجوه الثلاثة، وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه، ليس أحدهما ناسخًا للآخر، فهذا لا يوجد أصلًا، ومعاذ الله أن يوجد في كلام الصادق المصدوق الذي لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق، والآفة من التقصير في معرفة المنقول والتميز بين صحيحه ومعلوله، أو من القصور في فهم مراده، وحمل كلامه على غير معناه"(٢).

أهمية علم مختلف الحديث: ـ

إن علم مختلف الحديث يكتسب أهميته من أهمية متعلقه وهو فقه الحديث، وأن فهم الحديث النبوي الشريف فهمًا سليمًا، واستنباط الأحكام الشرعية من السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، استنباطًا صحيحًا لا يتم إلا بمعرفة الحديث.

وما من عالم وهو مضطر إليه ومفتقر لمعرفته.

ولذا فقد تنوعت عبارات الأئمة في بيان مكانة مختلف الحديث وعظيم

---

(١) النووي،تقريب علوم الحديث وبهامشه تدريب الراوي (٢/١٩٦).

(٢) زاد المعاد (٣/١١٣).

منزلته، ومن ذلك قول ابن حزم الظاهري رحمه الله: "وهذا من أدق ما يمكن أن يعترض أهل العلم من تأليف النصوص وأغمضه وأصعبه"(١).

وقال **أبو زكريا النووي** رحمه الله تعالى: "هذا فنٌ من أهم الأنواع، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف"(٢).

وقال **ابن تيمية** رحمه الله تعالى: "فإن تعارض دلالات الأقوال وترجيح بعضها على بعض بحر خضم"(٣).

وقد بلغ من عناية أئمة الحديث بهذا الشأن مبلغًا عظيمًا حيث أعده بعضهم نصف العلم(٤).

من الأحاديث التي اشُتبه على كثير من الناس فهمها وظن أنها متعارضة وتفاوتوا في تأويلها وبيان مراده.

سؤاله ﷺ الغني بقوله: (**اللهم إني أسألك غناي وغنَى مولاي(٥)**)"(١).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٢/١٦٣).

(٢) تدريب الراوي (٢/١٧٥).

(٣) مجموع الفتوى (٢٠/٢٤٦).

(٤) المحدث الفاصل (ص٣٢٠)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢١١).

(٥) "ولي" قال أبو عبيد في غريب الحديث (٣/١٤١): قوله: غنى مولاي، المولى عند كثير من الناس هو ابن العم الخاصة، وليس هو هكذا، ولكنه الولي فكل ولي للإنسان هو مولاه، مثل الأب والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وما وراء ذلك من العصبة كلهم ومنه قوله تعالى: "وإني خفت الموالي" . قال الزمخشري: هو كل ولي كالأب والأخ وابن الأخ والعم وابنه والعصبة كلهم، وعد في القاموس من معانيه التي يمكن إرادتها هنا: الصاحب والقريب والجار والحليف والناصر والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر.
والمراد بالغنى الذي سأله: غنى النفس لا غنى المال وسعة الحال كما قاله بعض أهل الكمال. قال ابن عطاء الله: لا يصح الغنى إلا بوجود الفقر، لأنه كل من افتقر إلا الله استغنى به ومن استغنى بالله بواسطة فقره إليه فغناه لا يماثله غنى أبدًا. انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير

(٢/١٤١).

(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦/٤٥٧): ضعيف.

أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (ص٦٦٢)، وأحمد (٣/٤٥٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٢/٣٢٩/٨٢٨) عند محمد بن يحيى بن حيان، عن لؤلؤة، عن أبي صرمه عن رسول الله ﷺ أنه قال: فذكره.

وذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص١٥٤).

قلت: وهذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات، غير لؤلؤة فإنها مجهولة، لم يرو عنها غير محمد بن يحيى بن حبان هذا، وقال الحافظ في "التقريب": مقبولة.

وقد أسقطها ابن حبان من الإسناد في رواية لأحمد، وكذلك رواه ابن أبي شيبة (١/٢٠٨).

ولذلك قال الهيتمي(١٠/١٧٨): رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذلك الإسناد الآخر وإسناد الطبراني غير لؤلؤة مولاة الأنصار وهي ثقة.

ولا أدري عمدته في توثيقها إلا أن يكون رآها في "الثقات" لابن حبان فاعتمده، ولا يخفى ما فيه. وقال ابن أبي حاتم في الرواية الأخرى لأحمد التي ليس فيها عن لؤلؤة (٢/٢٠٢): هذا خطأ، والصحيح عن محمد بن يحيى بن حبان عن لؤلؤة عن أبي صرمة.

وللحديث شاهد موقوف بإسناد واه أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٥/١٤٣/٤٨٤٩) من طريق أبي مسعود أحمد بن الفرات الرازي: حدثنا أبو الهيثم خالد بن القاسم: حدثنا يونس بن يزيد عن الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه أنه كان يقول حين يضطجع: اللهم إني أسألك غنى الأهل والمولى، وأعوذ بك أن تدعو على رحم قطتها.

قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا، آفته خالد هذا، قال ابن حبان في "الضعفاء" (١/٢٨٢): كان يوصل المقطوع، ويرفع المرسل، ويسند الموقوف، وأكثر ما فعل ذلك بالليث بن سعد، لا تحل كتابة حديثه.

وقال ابن عدي في "الكامل" (٢/١٠): تركه أحمد وعلي، وقال البخاري: متروك، تركه الناس.

وقال السعدي: كذاب، يزيد في الأسانيد، وقد طول الحافظ ترجمته في "اللسان" وذكر عن ابن راهويه أنه قال: كان كاذبًا، وعن ابن أبي عاصم أنه قال في "كتاب الرحم" له: حدثنا أحمد بن الفرات: حدثنا خالد المدائني: حدثنا الليث عن يونس عن الزهري عن خارجة بن زيد أن أباه يدعو بدعاء عن رسول الله . قال رسول الله ﷺ: اللهم إني أعوذ بك أن تدعو على رحم قطعتها، ثم قال ابن أبي عاصم: وخالد متروك الحديث.

وبالجملة، فالحديث ضعيف لجهالة لؤلؤة، والاضطراب في إسناده، فتارة تذكر فيه وتارة تسقط،

مع قوله: **(اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا (١) واحشرني في زمرة المساكين)**(٢).

وتارة قال الراوي بديلًا عنها: عن مولى لهم "في رواية للبخاري عقب الرواية الأولى، ولشدة ضعف شاهده المذكور. والله أعلم. وقد جاء الحديث مقطوعًا عند أبي شيبة (٩٢٤٣): حدثنا ابن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الرجل إذا دعا قال: اللهم أغنني وأغن مولاي.
وهذا إسناد صحيح مقطوع، فلعل هذا أصل الحديث رفعه الرواة وهما أو عمدًا. والله أعلم.

(١) أراد به التواضع والإخبات وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين. انظر النهاية لابن الأثير ١/٤٥٣ والفائق ٢/١٨٩.

(٢) أخرجه الترمذي في (جامعه) في أبواب الزهد في باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٥٣٠): من حديث أنس ﷺ أن الرسول ﷺ قال: "اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة. قالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة" قال الترمذي: هذا حديث غريب.
قال ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في شرح الكبير – (٧/٣٦٧): وضعيف أيضًا: في إسناد الحارث بن النعمان الليثي ابن أخت سعد بن جبير، قال أبو حاتم فيه: ليس بالقوي، وقال البخاري: منكر الحديث، لكن له شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رواه ابن ماجه في أبواب الزهد من "سننه" في باب (مجالسة الفقراء) قال: "أحبو المساكين" فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه: "اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين" وإسناده أيضًا ضعيف، لأنه من رواية يزيد بن سنان الرهاوي – وقد ضعفوه – عن أبي المبارك – وهو مجهول، كما قاله أبو حاتم الرازي والترمذي، لكن ذكره ابن حبان في الثقات – عن عطاء، عن أبي سعيد عنه.
وغلا ابن الجوزي فذكر حديث أبي سعيد وحديث أنس السالف في "موضوعاته" وعلله بما ذكرناه ولم يذكر توثيق (أبي المبارك)، وإنما اقتصر على من جهله، والحق أن يذكر في الأحاديث الضعيفة، وقد أخرجه الحاكم في "مستدركه" – وكذا أعني حديث أبي سعيد – بدون ذكر هذين الرجلين، وحكم بصحته، قال في أوائل "مستدركه" في أثناء كتاب الرقاق: حدثني إبراهيم بن إسماعيل القارئ، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، ثنا خالد بنيزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد

الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "أحيني مسكينًا وتوفني (مسكينًا) واحشرني في زمرة المساكين، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة" ثم قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: لكن هذا مختلف فيه والأكثرون على تضعيفه، وله (شاهد) من حديث عبادة بن الصامت قال: "كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم أحيني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين" ورواه البيهقي من حديث موسى بن محمد مولى عثمان بن عفان، ثنا معقل ابن زياد، أبناء عبد الله بن زياد، ثنا جناد بن أبي أمية قال: سمعت عبادة ... فذكره.

وروى حديث أبي سعيد السالف بسند الحاكم لكن بمتابع قال: أبنا أبو (الحسين) بن الفضل القطان ببغداد، أنا أبو سهل بن زياد بن القطان، ثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، ثنا سليمان بن شرحبيل،ثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: (يا أيها الناس، اتقوا الله، ولا تحملنكم (الغيرة) على أن تطلبوا الرزق من غير حله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم احشرني في زمرة المساكين ولا تحشرني في زمرة الأغنياء، فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة" ورواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وقد وثق على ضعفه وشيخ الطبراني وعبيد الله بن زياد الأوزاعي لم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات.

قال ابن كثير في"البداية والنهاية" (٦/٧٥): "في إسناد ضعيف، وفي متنه نكارة، والله أعلم.

وقال الحافظ في "التلخيص" (٣/١٠٩) بعد ذكر الحديث: "رواه الترمذي من حديث أنس واستغربه وإسناده ضعيف، وفي الباب عن أبي سعيد رواه ابن ماجه وفي إسناده ضعف أيضًا وله طريق آخر في المستدرك من حديث عطاء عنه.

ورواه البيهقي من حديث عبادة بن الصامت، وقال: أسرف ابن الجوزي فذكر الحديث في الموضوعات.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوي (١٨/٣٥٧) عن هذا الحديث فقال: "هذا يروي، ولكنه ضعيف لا يثبت، ومعناه: أحيني خاشعًا متواضعًا، لكن اللفظ لم يثبت" انتهى.".

فهو ضعيف سندًا منكر متنًا وقد ضعفه الكثير من العلماء منهم: الترمذي، وابن تيمية والذهبي في الميزان، وابن كثير، وابن حجر، والعلائي، وابن الملقن، والبوصيري، والشوكاني، وابن علاء كما نقل السيوطي عنه، وغيرهم ولمح لضعفه ابن بطال بل قرر بعضهم أنه موضوع كابن الجوزي والقزويني وغيرهم وتعقبوا.

وقوله ﷺ: **(الفقر زين على المؤمن من العذار(١) الحسن على خد الفرس)** **(٢).**

وقالوا هذا تناقض واختلاف:

ووجه الخلاف كما ذكره **الإمام ابن قتيبة**: أنهم عارضوا الفقر بالمسكنة.

وكيف أن النبي يمدح الفقر ويسأل الله الغنى.

وبيان ذلك كما فسره العلماء قال **الإمام ابن قتيبة** في تأويل مختلف الحديث (ص١٥٥):

إنه ليس هنا اختلاف بحمد الله تعالى وقد غلطوا في التأويل وظلموا في المعارضة لأنهم عارضوا الفقر بالمسكنة وهما مختلفان، ولو كان قال اللهم

---

(١) العذار: العذاران من فرس كالعارضين من وجه الإنسان،ثم سمى السير الذي يكون عليه من اللجام عذارا. النهاية (٣/١٩٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٢/١٨١) والحربي في "الغريب" (٥١/٥) وأبو القاسم الهمداني في "الفرائد" (٢٠٢/١) من طرق عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن سعد بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: للفقر أزين للعبد المؤمن من العذار الجيد في خد الفرس.
وهذا إسناد ضعيف جدًا، من أجل ابن أنعم، اتهمه ابن حبان فقال (٥٣/٢) "كان يروي الموضوعات عن الثقات، ويأتي عن الإثبات بما ليس من أحاديثه م.
إن سعد بن مسعود الكندي مختلف في صحبته كما في "الإصابة".
وقال ابن عدي: منكر.
ورواه الطبراني (٧/٢٩٤، رقم ٧١٨١) من حديث شداد بن أوس، بسند ضعيف. والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدي في الكامل هكذا.
وقال المناوي (٤٦٤/٤) قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: هو باطل موضوع.
ورواه البيهقي في "شعب الإيمان" (١٠٦/١٣) من طريق عبد الرحمن بن زياد، عن سعد بن مسعود عن النبي ﷺ الحديث. قال ابن تيمية كذاب. وسنده ضعيف، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم كما رواه ابن عدي في كامله.

أحيني فقيرًا وأمتني فقيرًا واحشرني في زمرة الفقراء، كان ذلك تناقضًا كما ذكروا.

ومعنى المسكنة في قوله "احشرني مسكينًا: التواضع والإخبات كأنه سأل الله تعالى أن لا يجعله من الجبارين والمتكبرين ولا يحشره في زمرتهم والمسكنة حرف مأخوذ من السكون يقال تمسكن الرجل إذ لان وتواضع وخشع وخضع.

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في مجموع الفتاوى: (٣٢٦/١٨): هذا الحديث قد رواه الترمذي، وقد ذكره **أبو الفـــرج (ابن الجوزي)** في موضوعاته، وسواء صح لفظه أو لم يصح: فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع لله، ليس المراد بالمسكنة عدم المال، بل قد يكون الرجل فقيرًا من المال وهو جبار، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **(ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: ملك كذاب، وفقير مختال، وشيخ زان)** وكان النبي ﷺ يقول: **(أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)** فالمسكنة خلق في النفس، وهو التواضع والخشوع واللين ضد الكبر.

كما قال عيسى عليه السلام: **(وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا) [مريم: ٣٢].**

وفي "لسان العرب" (٢١٦/١٣): "وأصل المسكين في اللغة: **الخاضع،** وأصل الفقير: **المحتاج".**

ولهذا قال ﷺ: **(اللهم أحيني مسكينًا)** أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين.

أي: خاضعًا لك يا رب ذليلًا غير متكبر، وليس يراد بالمسكين هنا الفقير المحتاج"([1]) انتهى.

([1]) وذكر الإمام ابن قيم الجوزية في معرض كلامه في اختلاف الناس في الغنى الشاكر والفقير

الصابر أيهما أفضل في (ذخيرة الصابرين وعدة الشاكرين ١/٢٤) أنه لا حجة في الحديث (اللهم أحيني مسكينًا) لوجهين:

أحدهما: أنه لا يحتاج بإسناده فإنه من رواية محمد بن ثابت الكوفي عن الحارث بن النعمان والحارث هذا لم يحتج به أصحاب الصحيح بل قال فيه البخاري: منكر الحديث ولذلك لم يصحح الترمذي حديثه هذا ولا حسنه ولا سكت عنه، بل حكم بغرابته.

الجواب الثاني: إن الحديث لو صح فإن المسكنة التي يحبها الله من عبده ليست فقر المال بل مسكنة القلب وهي انكساره وذله وخشوعه وتواضعه لله وهذه المسكنة لا تنافي الغنى ولا يشترط لها الفقر فإن انكسار القلب لله ومسكنته لعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه وصفاته أفضل وأعلى من مسكنة عدم المال كما أن الصبر الواجد عن معاصي الله طوعًا واختيارًا وخشية من الله ومحبة له أعلى من صبر الفقر العاجز وقد أتى الله جماعة من أنبيائه ورسله الغنى والملك ولم يخرجهم ذلك عن المسكنة لله. وقال الإمام البيهقي: قد استعاذ ﷺ من الفقر وقد روى في حديث شيبان عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ "أنه استعاذ من المسكنة والفقر" فلا يجوز أن تكون استعاذته من الحال التي شرفها في أخبار كثيرة، ولا من الحال التي سأل أن يحيي و"يثاب" عليها، ولا يجوز أن تكون مسألته مخالفة لما مات ﷺ فقد مات مكفيًا بما أفاء الله عليه.

ثم قال: ووجه هذه الأحاديث عندي والله أعلم، أنه استعاذ من فتنة الفقر والمسكنة اللذين يرجع معناهما إلى القلة كما استعاذ من فتنة الغنى وذلك بين.

أما قوله: "أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا" فهو إن صح ففيه نظر، فالذي يدل عليه حاله عند وفاته أنه لم يسأل حال المسكنة التي يرجع معناها إلى القلة إنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع فكأنه ﷺ سأل الله تعالى أن لا يجعله من الجبارين المتكبرين وأن لا يحشره في زمرة الأغنياء (المسرفين).

قال (القيبي): والمسكنة حرف مأخوذ من السكون، يقال: "تمسكن الرجل" إذا لان وتواضع وخشع، ومنه قوله ﷺ للمصلي " تيأس وتمسكن" يريد تخشع وتواضع لله.

وقال ابن بطال في شرحه على البخاري (٦/٦١):" فإن ثبت في النقل فمعناه ألا يجاوز به الكفاف، أو يريد به الاستكانة إلى الله. ويدل على صحة هذا التأويل أنه ترك أموال ابن النضير وسهمه من فدك وخيبر. فغير جائز أن يظن به أن يدعو إلى الله ألا يكون بيده شيء، وهو يقدر على إزالته من يده باتفاقه، قال الحافظ في التلخيص: إن الذي استعاذ منه وكرهه فقر القلب، والذي اختاره وارتضاه طرح المال.

وأما قوله: **(إن الفقر بالمؤمن أحسن من العذار الحسن على خد الفرس).**

قلت: فلا يحتج به لشدة ضعفه وقد أنكره ابن عدي وحكم عليه بالوضع الإمام السخاوي.

قال **الإمام ابن قتيبة**: إن الفقر مصيبة من مصائب الدنيا عظيمة وآفة من آفاتها أليمة فمن صبر على المصيبة لله تعالى ورضى بقسمه زانه الله تعالى بذلك في الدنيا وأعظم له الثواب في الآخرة وإنما مثل الفقر والغنى مثل السقم والعافية فمن ابتلاه الله تعالى بالسقم فصبر كان كمن ابتلى بالفقر فصبر وليس ما جعل الله تعالى في ذلك من الثواب بمانعنا من أن نسأل الله العافية ونرغب إليه في السلامة

وأكد هذا المعنى المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/١٣٩): بقوله: (اللهم أحيني مسكينا) قيل هو من المسكنة وهي الذلة والافتقار، فأراد ﷺ بذلك إظهار تواضعه وافتقاره إلى ربه إرشادًا لأمته إلى استشعار التواضع، والاحتراز عن الكبر والنخوة، وأراد بذلك التنبيه على علو درجات المساكين وقربهم من الله تعالى (واحشرني في زمرة المساكين) أي اجمعني في جماعتهم بمعنى اجعلني منهم لكن لم يسأل المسكنة ترجع للقلة بل للإخبات والتواضع والخشوع.

قال السهروردي: لو سأل الله أن يحشر المساكين في زمرته لكان لهم الفخر العميم والفضل العظيم، فكيف وقد سأل أن يحشر في زمرتهم ؟ .

وقال ابن عبد البر في الاستذكار (ج:٢ ص:٥٤٠) الذي استعاذ منه هو الذي لا يدرك معه القوت والكفاف، ولا يستقر معه في النفس غنى، لأن الغنى عنده ﷺ غنى النفس وقد قال تعالى: (ووجدك عائلًا فأغنى) ولم يكن غناه أكثر من ادخاره قوت سنة لنفسه وعياله وكان الغنى محله في قلبه ثقة بربه. وكان يستعيذ من فقر منس وغنى مطغ، وفيه دليل على أن الغنى والفقر طرفين مذمومين، وقوله (اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين) المسكين ها هنا المتواضع كله الذي لا جبروت فيه ولا كبر الهين اللين السهل القريب وليس بالسائل لأن رسول الله قد كره السؤال ونهى عنه وحرمه على من يجد ما يغديه و يعشيه، وإنما المعنى في المسكين ها هنا المتواضع الذي لا جبروت فيه ولا نحوه ولا كبر ولا بطر ولا تجبر ولا أشر. وبهذا تجتمع الأخبار في هذا المعنى. انتهى.

وقد ذهب قوم يفضلون الفقر على الغنى إلى أنه كان يتعوذ بالله تعالى من فقر النفس واحتجوا بقول الناس فلان فقير النفس وإن كان حسن الحال وغنى النفس وإن كان سيء الحال وهذا غلط ولا نعلم أن أحدًا من الأنبياء ولا من صحابتهم ولا العباد ولا المجتهدين كان يقول اللهم أفقرني ولا أزمني ولا بذلك استعبدهم الله ﷻ بل استعبدهم بأن يقولوا اللهم عافني وكانوا يقولون اللهم لا تبلانا إلا بالتي هي أحسن يريدون لا تختبرنا إلا بالخير ولا تختبرنا بالشر لأن الله تعالى يختبر عباده بهما ليعلم كيف شكرهم وصبرهم وقال سبحانه: **(ونبلوكم بالشر والخير فتنة)** أي اختبارًا. اهـ.

وعليه فلا يجوز أن يقال إن إحدى هاتين الخصلتين أفضل من الأخرى لأنهما محنتان، وكأن قائلًا هذا يقول: إن ذهاب يد الإنسان أفضل عند الله بذهاب رجله. وإن ذهاب سمعه أفضل من ذهاب بصره، فليس ها هنا موضع للفضل، وإنما هي محن يبلو الله بها عباده، ليعلم الصابرين والشاكرين من غيرهما، ولم يأت في الحديث، فيما علمنا، أن – النبي ﷺ كان يدعو على نفسه بالفقر، ولا يدعو بذلك على أحد يريد به الخير، بل كان يدعو بالكفاف ويستعيذ بالله من شر فتنة الفقر وفتنة الغنى، ولم يكن يدعو بالغنى إلا بشريطة يذكرها في دعائه.

قال الشيخ **عبد الرؤوف المناوي** في **الفيض** (١٣٠/٢): استعاذته من الفقر لا تنافي طلبه المسكنة، لأن الفقر مشترك بين معنيين: الأول الافتقار إلى الله والاعتراف بالذلة والمسكنة له، والثاني فقر الاضطرار وهو فقر المال المضطر إليه كجائع فقد الخبز، فهذا هو الذي استعاذ منه والأول هو الذي سأله إياه.

ومنه أخذ **الإمام السبكي** قوله المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي نوع من الفقر فإنه أغنى الناس بالله **(وإن أشقى الأشياء من اجتمع عليه فقر الدنيا**

والآخرة) يعني من لم يرزقه سعة في الدنيا بل كان فقيرًا معدمًا وهو مع ذلك مقارف للذنوب، لا يرعوي ولا يتوب، وفارق الدنيا وهو مصر على هذا الحال لم يدركه العفو، فهو أشقى من كل شقي من المؤمنين بلا إشكال لأنه معذب في الدارين.

هذا ما تيسر لي وأسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في الأقوال والأفعال، والفهم وحسن الإتباع وأن يغفر لي ما كان مني من جهل وخطأ، وأن ينفعني بما علمني، وأن يزيدني علمًا، وألا يحرمني فضله إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

وصلي الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

* * *

فهرس المصادر

* **القرآن الكريم.**

* **الإحكام في أصول الأحكام،** لابن حزم علي بن أحمد بن سعيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط (بدون)، ت (بدون).

* **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل،** محمد ناصر الدين الألباني، إشرافك زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط (٢) ١٤٠٥هـ.

* **الاستذكار (الجامع لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار)** لابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي، تحقيق: د/ عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، بيروت، ودار الوعي بالقاهرة، ط (بدون) ت (بدون).

* **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري،** لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ط (١) ١٤٠٩هـ.

* **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،** لابن الملقن سراج أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفي: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله سليمان وياسر بن كمال: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط(١).

* **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،** محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤١٠هـ.

* **تقريب التهذيب،** للحافظ ابن حجر أحمد العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال

صغير أحمد الباكستاني، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط(١) ١٤١٦هـ.

* **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،** لابن عبد البر يوسف بن عبد الله، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديث للنشر والطباعة، القاهرة، ط (٣) ١٤٢٥هـ.

* **تهذيب التعذيب،** لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٢) ١٤١٣هـ.

* **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير،** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفي:٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.

* **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهاء وفوائدها،** محمد ناصر الدين الألباني، ج (١/٢)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٤) ١٤٠٥هـ، ج (٣) مكتبة المعارف، الرياض، ط (٢) ١٤٠٧هـ، ج (٤) مكتبة المعارف، الرياض، ط (٣) ١٤٠٦هـ، ج (٦) مكتبة المعارف، الرياض، ط (١) ١٤١٦هـ.

* **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة،** محمد ناصر الدين الألباني، ج (٥)، مكتبة المعارف، الرياض، ط (١) ١٤١٧هـ.

* **سنن ابن ماجه،** لأبي عبد الله محمد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (بدون)، ت (بدون).

* **سنن أبي داود،** للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، ط (١) ١٣٩٤هـ.

* **السنة،** لأبي عاصم الضحاك الشيباني، ومعه: ظلال الجنة في تخريج السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٢) ١٤٠٥هـ.

* **سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح،** للترمذي محمد بن عيسى، تحقيق، أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (بدون)، ت (بدون).

* **السنن الكبرى، للبيهقي** أبو بكر أحمد بن الحسين، دار المعرفة، بيروت، مصور عن طباعة حيدر آباد.

* **صحيح الترغيب والترهيب،** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط (١)، ١٤٢١هـ.

* **صحيح سنن الترمذي،** محمد ناصر الدين الألباني، إشراف وتعليق، زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، توزيع: المكتب الإسلامي، ط (١) ١٤٠٨هـ.

* **ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)،** محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط (٣) ١٤١٠هـ.

* **ضعيف سنن ابن ماجه،** محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط (١) ١٤٠٨هـ.

* **ضعيف سنن الترمذي،** محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤١١هـ.

* **الفائق في غريب الحديث،** للزمخشري الجار الله محمود بن عمر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، توزيع: دار الباز، مكة

المكرمة، ط (٢).

* **لسان العرب**، للعلامة ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة مصححة ومراجعة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، ط (بدون)، ت (بدون).

* **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي علي بن أبي بكر، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، ط(١) ١٤٢٥هـ.

* **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير أبي السعادات المبارك محمد الجزري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط (١) ١٤٢٢هـ.

* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفي: ١٠٣١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط (١) (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

* * *

فهرس موضوعات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٨٥
تمهيد	١٨٧
تعريف مختلف الحديث	١٨٧
في الاصطلاح	١٨٧
المختلف قسمان	١٨٧
أهمية علم الحديث	١٨٨
فهرس المصادر	١٩٨

* * *